

الفارسية
في مبادئ اللغويات الحديثة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَالِمِ الْعَلَّامِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُتَّقِينَ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْغَيْبِ الْأَعْلَى الْوَالْعَبَّاسِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْعَسْتَكِينِ
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَتَرَى صُرْحَةَ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ
النَّبِيِّينَ وَعَلَى آلِهِ وَاصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ وَرَضِيَ اللَّهُ عَنْ
الْأَمَامِ الْمَهْدِيِّ الْمُعْتَمَدِ بِالْحَقِّ بِإِصْرِهِ الْقَلْبِيِّ
وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا الْأَمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَجَاهِدِ فِي
سَبِيلِ اللَّهِ الْمُتَوَكِّلِ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ **بِسْمِ اللَّهِ**
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْأَمْرِ الرَّاشِدِ بِالتَّحْقِيقِ وَالْعَمَلِ
الْمُسْتَعِينِ **وَبَعْدُ** بِهَذَا اجْتَمَعَ فِيهِ مَا عَشَرَةٌ
الْتِقَاءُ مِنْهُ مِنَ الْخَلَاءِ عَلَى مَاءٍ فِي التَّوَلَّى الْمُحْفَظِ
وَمَا تَعَلَّى بِهَا مِنْ مَهْمَلَاتِ الْوَقَائِعِ الْجَلِيَّةِ بِكَلَامِ كَلْبِي
تَحْسِنِ الْمَحَاضِرَةَ بِهِ وَتَحْصِلِ الْأَوَادَةَ بِسَبِيهِ وَتَشْرِفِ
بِرُوحِهِ إِلَى الْحَضْرَةِ الْعَلِيَّةِ وَبِحُزْنِ زَمَانٍ وَصَحْبِهِ بِأَقَامِ
الْمَعَارِفِ

اول نسخة الفارسية

(299) بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

قال الشيخ الفقيه العالم العلامة القاضي العدل المحصل المتفّن الخطيب الأكمل أبو العباس أحمد بن الخطيب القسطنطيني - رحمه الله تعالى وبسرد ضريحه . (1)

الحمد لله ربّ العالمين . والصلاة (2) والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيّين . وعلى آله وأصحابه أجمعين . ورضي الله عن الإمام المهدي المعلوم القائم بالحق بأنصاره الصادقين . وصلاة (3) الدعاء لسيدنا الإمام أمير المؤمنين المجاهد في سبيل الله المتوكّل على ربّ العالمين . أبي فارس عبد العزيز ابن الأئمراء الراشدين بالنصر العزيز والفتح المبين .

وبعد فهذا مختصر فيه ما تشوّف النفوس إليه من الاطّلاع على مبادئ الدولة الحفصية ، وما تعلّقت بها من مهمّات الوقائع الجليّة ، (4) بكلام كلّي تحسن المحاضرة به، وتحصل الإفادة بسببه .

ولشرفه برفعه إلى الحضرة العليّة ، وفخر زمان وضعه بأيام (300) الإمارة العزيزية المجاهدية سمّيته "الفارسيّة في مبادئ الدولة الحفصية" والله المسؤول في التوفيق والهداية إلى سواء الطريق .

أصل نشأة دولة التوحيد الإمام المهدي أبو عبد الله محمد بن عبد الله رضي الله عنه : ولد بهرغة سنة إحدى وسبعين (5) وأربعمائة ،

- (1) في ف I قال الشيخ المدرس المفتي الخطيب القاضي العدل أبو العباس أحمد بن الخطيب حفظ الله بركته وبلغه خير الدارين بمنه وكرمه أمين .
(2) في ف I وفي ج I : والصلاة التامة .
(3) في ف I وصلاة .
(4) في ف I وفي ج I وفي ب ورقة 2 وجها : الحالة .
(5) في ف I 2 إحدى وستين وأربعمائة .



وقرأ بقرطبة على القاضي ابن حنبلين ثم ارتحل إلى المهديّة وأخذ عن الإمام أبي عبد الله المازري ثم انتقل إلى الإسكندريّة وأخذ عن الإمام أبي بكر الطرطوشي ثم انتقل إلى بغداد وأخذ عن الإمام أبي حامد الغزالي .

وكان الغزالي لمّا بلغ كتابه الذي سمّاه "إحياء علوم الدين" إلى المغرب وأشار من أشار على ملك لمتونة بتمزيقه وبلغ ذلك مؤلّفه (1) الغزالي قال : « اللهمّ مزّق ملكهم » وكان المهدي رضي الله عنه حاضرا في المجلس فقال له : "على يدي يا سيّدي" فقال له : "على يديك". وأكّدت هذه الدعوة ما في علم الإمام المهدي من ذلك لما يذكر أنّه اطّلع على "كتاب الملاحم" واقتبس منه ما عوّل عليه فتوجّه الإمام المهدي إلى المغرب (301) وصحبه (2) عبد المؤمن بن علي الكومي (3) طالباً للعلم من بجاية وتوسّم فيه ما كان يشير به إليه .

وكان (4) للإمام رضي الله عنه مناظرة ومحاضرة مع فقهاء لمتونة (5) واستند إلى جبل درن وكان يعلم الناس إيمانهم فمن صار من حزبه سمى موحددا .

وكان أمره مرة يتزلزل ومرة يثبت إلى أن آواه الشيخ الجليل المقدّس أبو حفص عمر بن يحيى بن عبد الله العمري الهنتاتي (6) فعلا أمره ، وسما ذكره ، وأظهر ما بطن ولذلك كان يقال له : الشيخ أبو حفص عمر ، ثم (7) تمّ به الأمر المراد .

وبويع الإمام المهدي رضي الله عنه يوم الجمعة الرابع عشر لشهر رمضان من عام خمسة عشر وخمسمائة : وبني دارا بجبل هنتاة

- (1) في ف 3 وفي ج 3 : بلغ ذلك مؤلّفه .
- (2) في ف 3 وفي ج 3 وفي ب ورقة 3 وجها : وصاحبه .
- (3) في الأصل الكوفي وكذلك في بقية النسخ بنفس الصفحات وهكذا ورد كلما ذكر .
- (4) في ف 3 و ج 3 : وكانت .
- (5) في ف 3 و ج 3 وفي ب ورقة 3 وجها زيادة على الأصل : وكان أصل عمله تغيير المنكر ظاهرا وأخفى ما أضمر من أنه له دولة لمتونة .
- (6) في الأصل أبو حفص يحيى بن عبد الله العمري .
- (7) في الأصل ثم ابي تم ولعلها ثم انه تم .

هي الآن يتبرك بالدخول إليها ودخلتها أنا لهذا الوجه سنة ثلاث وستين وسبعمائة، وأما كنهه للجلوس (1) معلومة لا يسلك الراكب فيها حتى ينزل عن دابته ، وقد فعلته أنا ومن كان معي في هذه الزيارة :

ورتب لهم الإمام أحزابا في التوحيد "كالمرشدة" وغيرها (2) وهي التي أولها "اعلم أرشدنا الله وإياك" بكسر ألف اعلم على صيغة الأمر ، وفتحها خطأ (302) وألف (3) لهم الإمام كتبها مشهورة.

وما زال أمر الإمام ، في زيادة على ترتيب ونظام ، وملازمة أصحاب من الأعلام واعتكاف على قراءة حديث النبي عليه السلام حتى توفي بجبل تينمل غربي جبل هنتانة يوم الإربعاء الثالث عشر لشهر رمضان المعظم من سنة أربع وعشرين وخمسائة .

وباع الموحدون واحدا من أصحابه المختصين بقربه في حياته (4) وهو الشيخ أبو علي عمر الصنهاجي عرف ازناج (5) ثم قال لهم بعد أيام : هذا هو الذي أشار به الإمام ، يعني عبد المؤمن بن علي الكومي فتأخر وبويج عبد المؤمن بن علي يوم الخميس الخامس والعشرين لشهر رمضان المذكور وأقام مدة بين قبائل الموحديين ومراكش وغيرها على ملك اللمتونيين (6) ، ثم خرج إلى إقليم تلمسان مع جمع وافر من الموحديين وأحيا الكلمة في هذه الأقاليم مدة ثم توجه إلى المغرب فملك مدينة فاس وغيرها في سنة تسع وثلاثين وخمسائة وملك مراكش واستخلص المغرب كله من يد لمتونة .

وكانت دولتهم نحو ثمانين سنة ، وعدة ملوكهم ثلاثة : ملك أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (303) خمسين سنة، وحضرته بلد أغمات

(1) في ف 4 وفي ج 4 للجلوس بالجبل .
(2) في ف 4 : وغيرها ساقطة ! وكذلك في ب ورقة 3 وجها .
(3) في الأصل واللف .
(4) في الأصل في أحبائه .
(5) في ب ورقة 4 وجها : ارتاج .
(6) في الأصل سقطت : على .

وملك منها ولده علي بن يوسف سبعا وعشرين سنة ، وهو الذي أحدث مراكش ورسبها بالبناء وبنى فيها جامعين وقصبة تعرف بسور الحجر ، وذلك في سنة عشرين وخمسمائة ، وملك منها ابنه تاشفين ما بقي وتوفي علي بلد (1) وهران ، وهرب ابنه إسحق إلى مراكش ، ودخلها عاينه الموحدون .

واتخذها عبد المؤمن بن علي داره (2) وأقام رسوم المملكة بإقامة الكتاب ، واتخذ الوزراء والحجّاب ، وكان المعين له علي أمره جامع شمل عسكره الشيخ المقدّس المجاهد أبو حفص عمر بن يحيى رحمه الله وهو الذي أخذ (3) القائم عليه المعروف بالماستي . بعد أن قويت شوكته وقصدته البرابر من جميع الجهات ، فخرج إليه الشيخ أبو حفص بخداً معه وعسكر من الموحدين حتى نمتد فيه من أمر الله ما نفذ ، وظهرت دعوة التوحيد (4) واستقام الأمر الرشيد.

وفي سنة أربع وأربعين وخمسمائة خرج عبد المؤمن من مراكش إلى تونس فملكها ، وولى عليها الشيخ أبا عبد الله بن بوفيان السهرغي .

وتوفي عبد المؤمن بن علي سنة ثمان وخمسين وخمسمائة فكانت مدّته (304) أربعاً وثلاثين سنة ، وترك من الذكور ثمانية عشر ولداً ولّى منهم بعد أبيه (5) أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن وكانت مدّته ثلاثاً وعشرين سنة ولم يتسم في أوله بأمير المؤمنين ولا خطب له بذلك ولا كتب في صدور كتبه العلامة لامتناع الشيخ المجاهد المقدّس أبي حفص - رحمه الله - من مبايعته حتى يختبر أمره ، وكان الملك إذا ألحّ عليه في ذلك يقول الشيخ أبو حفص لرسوله : «لا أبايعه حتى يظهر منه من الخصل الحميدة ما يستوجب به المبايعه» وبقي علي ذلك نحو خمس سنين (6) ثم استصوب الشيخ حاله وباعه وجددت

(1) في ف 6 و ج 6 و ب ورقة 4 ظهرا : على ملك وهران .

(2) في الأصل اتخذ عبد المؤمن بن علي مراكش داره .

(3) في ف 7 وفي ج 7 آخر (3) مكرر : في الأصل كما في بقية النسخ : الماشي .

(4) في ف 7 وفي ب ورقة 5 وجها وفي ج 7 : دعوة الموحدين .

(5) في ف 8 وفي ج 8 : بعده ابنه .

(6) في الأصل : خمسين سنة .

له البيعة ، وذلك في سنة ثلاث وستين وخمسمائة وتوفي سنة ثمانين وخمسمائة .

ووليّ ولده يعقوب المنصور ، وفي سنة ولايته بنى رباط الفتح على مدينة سلا .

وفي سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة تحرّك المنصور على علي بن اسحق بن غانية الميورقي (1) وله منذ ثار في بلاد إفريقية وملك أكثر البلاد ثلاث سنين فتحرك إليه المنصور ، واستخلص من يده بجاية وقسنطينة وقابس والجريد كلّها ، وقيل لم يملك قسنطينة ، وإنما أشرف على أخذها بقطع الماء عنها (305) ولجأ أهل البلد إلى صالحها الشيخ أبي الحسن علي بن مخلوف فسأل الله المطر فنزل وكانت حملة عظيمة في الوادي خرقت (2) سدّ الميورقي ، ولم يقدر على قطعه ، وتوفيّ هذا الشيخ نفع الله به على أفضل حال مع الله ولم يخلف ولدا .

وقدّم المنصور الشيخ أبا سعيد ابن الشيخ المقدّس أبي حفص على إفريقية وقدّم أخاه الشيخ أبا علي يونس ابن الشيخ أبي حفص واليا بالمهدية ، ورجع المنصور إلى مراكش ومحلّة (3) الميورقي لم تنزل في بلاد افريقية .

وتوفيّ علي بن اسحق على توزر وبويج أخوه يحيى بن اسحق وملك البلاد كلّها وحصلت له المهدية وغيرها ، ونزل على تونس في آخر سنة تسع وتسعين وخمسمائة وأخذها .

وفي هذه السنة توفيّ يعقوب المنصور بمراكش ، ووليّ ولده أبو عبد الله الناصر .

وذكر المؤرّخون ليحيى بن اسحق الميورقي ، وقراقش الغزي

(1) وفي الأصل الميرقي وكذا كلما ترد في ما يلي .
(2) في الأصل : أخرقت ، وكذلك في سائر النسخ .
(3) في الأصل : وعلة .

صاحب طرابلس وابن عبد الكريم صاحب المهديّة في افريقيّة وقائع كثيرة ، واتّصل بالناصر ما وقع بافريقيّة من الهرج والظلم فتحرّك إلى بلاد افريقيّة (1) وعند وصوله إلى قسنطينة وجّه الميورقي ذخائره إلى المهديّة وخرج من تونس إلى القيروان وذلك في سنة (306) اثنتين وستمائة .

وامتدح الناصر يوم وصوله إلى قسنطينة أبو علي حسن بن علي ابن الفكون من أهل بلدنا بقصيدة عظيمة .

وتردّد الميورقي في بلاد الجريد يؤلّب (2) العرب ، والبلاد بيده ، فأخذ الناصر في أتباعه على طريق قفصة ، ووجّه الناصر الشيخ المرحوم أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ المقدّس أبي حفص لقتال الميورقي بجيش عظيم ، فالتقيا بتاجرا وأحاط الشيخ أبو محمد بجميع ما في محلّته ، وفكّ من يده جماعة من الموحّدين منهم السيد أبو زيد بن يوسف بن عبد المؤمن الذي دخل عليه الميورقي تونس .

وتوجّه الناصر لحصار المهديّة فأقام عليها محاصرا لها أربعة وسبعين يوما وأخذها بتسليم صاحبها ابن عمّ الميورقي علي بن الغازي فأحسن الناصر إليه وقربه وعفا الناصر عن جميع من كان بالمهديّة من المقاتلين وغيرهم .

ثم ارتحل عنها وترك (3) محمد بن يغمور واليا عليها ونزل تونس في غرة رجب من سنة اثنتين وستمائة ، وارتحل عنها في شهر رمضان من سنة ثلاث وستمائة وأجمع الناصر وأرباب دولته على ولاية من أهله الله لذلك وهو

(1) في ف IO وفي ج IO و ب ورقة 7 وجها : فتحرّك ال بلاد افريقيّة في سنة احدى وستمائة .

(2) في جميع النسخ يؤلف .

(3) وفي الأصل : وتحرّك .

الشيخ أبو محمد عبد الواحد (307) ابن الشيخ المقدّس أبي حفص

في بلاد إفريقية فطلبه الناصر في ذلك فامتنع ، وشقّ عليه مفارقة من له بالمغرب ، فما زال يحاوله وأرسل إليه ولده ، وقال له : ”إمّا أن تتوجّه أنت إلى المغرب ، ونجلس أنا بإفريقية ، وإمّا أن تجلس أنت ، ونصرف أنا“ فأجابته الشيخ أبو محمد إلى ما طلب.

واستبدّ الشيخ أبو محمد بإفريقية ، وارتحل الناصر فأحسن الشيخ أبو محمد التدبير ، وأصلح الأمور وتفقد الأجناد (1) واخترع زمام التضييف للوفود ، وكان يجلس كلّ يوم سبت لمسائل الناس ، واستكتب محمد بن أحمد ابن نخيل المشتهر بالجود وحسن الوساطة ، وكان الناس معهما في ظلّ خير وأمن .

وكان الميورقي يتردّد في البلاد ويخرج إليه الشيخ أبو محمد وما التقى الشيخ أبو محمد معه قطّ إلاّ هزمه الشيخ أبو محمد وفرق جمعه وطرده إلى الجبال أو إلى الصحراء .

وكان الشيخ أبو محمد ملكا عالما فاضلا خيرا شجاعا محسنا ذكيا فطنا ، ومن إدراكه ما حكاه كاتبه ابن نخيل عنه ، قال : ”دخل عليه الفقيه أبو محمد عبد السلام البرجيني من تلامذة الإمام المازري ، وكان تحت جفوة منه فقال (308) الشيخ : ”كيف حالك يا فقيه أبا محمد عبد السلام ؟“ فقال : ”في عبادة“ فقال له الشيخ : ”نعوض صبرك إن شاء الله بالشكر“ قال ابن نخيل : ”ف سألت الشيخ عن المراد : فقال : ”أراد قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : انتظار الفرج بالصبر عبادة“ .

وكانت وفاة الشيخ أبي محمد يوم الخميس غرة المحرم فاتح ثمانية عشر وستمائة فكانت مدّته بإفريقية خمسة عشر عاما غير شيء .

(1) وفي ف 13 و ج 12 ريادة . ومهد البلاد .

وتغيّرت الأحوال بعد وفاته وافتترقت النَّاس على فرقتين فرقة
مالت إلى ابنه الشيخ أبي زيد وفرقة مالت إلى ابن أخيه إبراهيم
ابن إسماعيل ابن الشيخ أبي حفص .

ثم وقع اتّفاقهم على ابنه أبي زيد ، وقام بأمره كاتبه أبو عبد الله
محمد بن الحسين بن أبي الحـ بن ثم وصل كتاب صاحب مرآكش
المنتصر أبي يعقوب بتولية السيد أبي العلاء بن أبي يعقوب (1) بن عبد
المؤمن ، واستنابة الشيخ أبي اسحق بن إسماعيل بن الشيخ أبي حفص
إلى أن يقدم أبو العلاء ، وأمر أولاد الشيخ عبد الواحد بالطلوع إلى
مرآكش ، وتوجّه الشيخ أبو زيد وكاتبه أبو عبد الله بن الحسين (2)
إلى المغرب .

ثم وصل السيد أبو العلاء المذكور في شهر ذي القعدة ، عام
ثمانية عشر (309) وستمائة ، ولم تطل مدّته بتونس فكانت وفاته
بها في شهر شعبان من عام عشرين وستمائة ، وابنه المشمّر أبو
زيد بالقيروان ، فانتقل إلى تونس ووصله كتاب عمّه عبد الواحد
المعروف بالمخلوع بالولاية مكان أبيه فاستقرّ (3) واليا بتونس .

ثم توفّي المخلوع وولّي أبو محمد العادل فولّي على إفريقية
الشيخ أبا محمد عبد الله بن الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن الشيخ
المقدّس أبي حفص وكتب إلى السيد أبي زيد بالقدوم عليه بمرآكش،
وكتب الشيخ أبو محمد عبد الله بن الشيخ أبي محمد إلى ابن عمّه
الشيخ أبي عمران موسى ابن الشيخ أبي اسحق إبراهيم بن الشيخ أبي
حفص بالاستنابة وكان إذ ذاك بتونس ، فسلم السيد أبو زيد له
الأمر ، وارتحل عن تونس بعد أن شرع في إنشاء بستان، ونقل إليه
أنواع الغرس من كل مكان، فتركه ولم يمتنع به، وارتحل في سنة ثلاث وعشرين
وستمائة ؛ واستبدّ الشيخ أبو عمران بخطّة (4) الاستنابة بإفريقية .

(1) في الأصل : ابن ساقطة .

(2) في ف 15 وفي ج 4 أبو عبد الله بن أبي الحسين .

(3) في ف 15 فاستبقى .

(4) في الأصل : على خطّة .

ثم وصل الشيخ أبو محمد عبد الله ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد لتونس وبين يديه أخوه الأمير أبو زكرياء في يوم السبت السابع والعشرين لذي القعدة من عام ثلاثة وعشرين وستمائة ، فسلم له الشيخ أبو عمران ما كان (319) بيده على وجه النيابة .

ثم قتل العادل بمراكش وفرّ أخوه سعد إلى هسكورة (1) وكان بينهم قتال مات فيه السيد أبو زيد بن أبي العلاء والشيخ أبو زيد ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد والشيخ أبو إسحق إبراهيم بن اسماعيل ابن الشيخ المتدّس أبي حفص وغير هؤلاء .

ولمّا تحقّق السيد أبو العلاء إدريس وهو بإشبيلية موت أخيه العادل بمراكش أخذ البيعة لنفسه وتسمّى بالمأمون فبعث إلى الشيخ أبي محمد عبد الله بتونس ليأخذ له البيعة فتوقّف ورجع إليه الرسول بغير كتاب فبعث إلى أخيه وهو

الأمير أبو زكرياء ابن الملك أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي حفص - وكان صاحب قابس حينئذ - بولاية إفريقية كلّها ، فقبل ذلك منه الأمير أبو زكرياء ، وبادر إلى بيعة أبي العلاء المأمون وتوجّه إلى تونس ، فخرج إليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن الشيخ أبي محمد ففرّ عنه عسكريه من القيروان إلى أخيه أبي زكرياء، وبادر الأمير أبو زكرياء إلى تونس وأخذها (311) وثقّف أخاه أبا محمد عبد الله ودخل تونس في الرابع والعشرين من رجب من سنة خمس وعشرين وستمائة .

ثم بعث أبو العلاء المأمون عمّالا لتونس فأنف من ذلك الأمير أبو زكرياء وصرف العمّال من حيث أقبلوا .

وافتنن أبو العلاء المأمون مع الأمير أبي زكرياء (2) بن الناصر بالمغرب فخطب الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد

(1) وفي الأصل : مسكورة .

(2) في ف 8 وفي ج 17 أبي زكرياء يحيى .

بتونس للأمير أبي زكرياء بن الناصر وكتب الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ أبي محمد إلى بلاد إفريقية بخلع أبي العلاء المأمون .

ثم أسقط الأمير أبو زكرياء ابن الشيخ أبي محمد اسم الأمير أبي زكرياء بن الناصر من الخطبة في بلاد إفريقية واقتصر على الدعاء للمهدي وللخلفاء الراشدين ، وكان ذلك أول درجة في الاستبداد .

ثم بويع في أول عام ستة وعشرين وستمائة وهذه هي البيعة الأولى من الموحيدين .

ثم أخذ في ترتيب الأحوال واستجلاب محبة الناس بالمعاملة المشكورة والإحسان ، وتحرك لاستخلاص البلاد فنزل على قسنطينة وأخذها صلحا وخرج إليه من أهلها الشيخ ابن علناس الصنهاجي وذلك في يوم الخميس السادس (312) والعشرين لشعبان من عام ستة وعشرين وستمائة ، وأخرج صاحبها السيد ابن أبي (1) عبد الله بن يعقوب المنصور ، ورحل إلى بجاية وافتتحها وأخرج السيد أبا عمران ابن السيد أبي عبد الله (2) بن يعقوب المنصور ، وبعث هذين الأخوين مثقفين إلى تونس وأسكنهما دارين جليلتين ، وجعل بركتهما ألف دينار ذهبا ، وانقطعت الكلمة المؤمنية من البلاد الإفريقية ، لأن كلمة التوحيد على نوعين مؤنسية ، وحفصية ، ومبدأ المؤمنية عبد المؤمن بن علي ، ومنتهاها ابن أبي دبوس ، وهم ستة عشر ملكا من سنة أربع وعشرين وخمسمائة إلى سنة ثمان وستين وستمائة ، وذلك مائة وأربع وأربعون سنة .

ومن الله بالدولة الحفصية العمرية ، وأثار بها الآفاق الإفريقية وحرك لانتشار كلمتها الملك أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ المقدس المجاهد أبي حفص فنشر ذكرها ، وأظهر أمرها (3) وخلفه (4) ابنه الأمير أبو زكرياء فزاد في محاسنها .

(1) في الأصل : السيد أبا عبد الله بن يعقوب .

(2) في الأصل : محمد ساقطة .

(3) في ف 21 وفي ب ورقة 12 وجها : وأظهر أمرها .

(4) في الأصل : أخلفه .

وفي عام تسعة (1) وعشرين وستمائة بنى جامع قصبية تونس
وجدد رسوم القصبية .

وفي سنة ثلاثين وستمائة تحرك الأمير أبو زكرياء إلى المغرب
حتى وصل إلى بلد البطحاء وقدم عبد القوي (313) بن العباس التجاني (2)
ورجع إلى إفريقية .

وفي سنة ثلاث وثلاثين ولى ابنه أبا يحيى زكرياء بجاية وأعمالها.

وفي عام أربعة وثلاثين وستمائة ذكر اسمه في الخطبة ، وبويع
البيعة الثانية التامة التي لم يختلف (3) فيها أحد من الناس ولم يتسم
بأمير المؤمنين وعرض له الشعراء بذلك فأكسر عليهم .

وفي سنة ثمان وثلاثين وستمائة كتب عهده لولده أبي يحيى
صاحب بجاية وخطب له على جميع منابر إفريقية .

وفي شهر شوال من سنة تسع وثلاثين وستمائة تحرك إلى تلمسان
في جيش جملته أربعة وستون ألف فارس ، وفي شهر ربيع الأول
من سنة أربعين وستمائة دخلها عنوة من باب كشوطة (4) وصاحبها
حينئذ أبو يحيى يغمراسن بن زيان العبد الوادي زعيمهم وكبيرهم ولتي
سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ثم رجع الأمير أبو زكرياء إلى تونس غانما سالما ، وقد سلم
البلاد للعبد الواديين إلا من ملىانة شرقا (5) وكانت غيبته تسعة أشهر.

وفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة وصات بيعة (6) إشبيلية والمرية
وشريش وطريف وستة وقصر ابن عبد الكريم (7) وسجلماسة .

(1) في ف 2I وفي عام سبعة وعشرين .

(2) في م I4 التجاني .

(3) في ف 2I لم يتخلف .

(4) في الأصل من بلد كشوطة .

(5) في ف ص 22 وفي ب ورقة I3 وجها الإمليانة فكانت .

(6) في الأصل وصلت بيعته .

(7) في الأصل ابن عبد الحكيم .

وفي سنة ست وأربعين وستمائة توفي ولده ولي عهده (314) أبو يحيى زكرياء بجاية .

وفي هذه السنة أخذ التصاري إشبيلية .

وفي هذه السنة كتب عهده لولده المستنصر (1) ومهد له - رحمه الله - ما ينبغي أن يمهد .

وفي (2) سنة سبع وأربعين وستمائة نزل العدو - دمّره الله - بعين دمياط وهو الفرنسي الذي نزل قرطاجنة وتوفي بها في سنة ثمان وستين وستمائة - وكان حين نزوله دمياط قبض عليه وأمكن الله منه في سنة ثمان وأربعين وستمائة؛ وفي ذلك يقول جمال الدين ابن مطروح ، وقد بلغ أهل الديار المصرية بعد خلاص الفرنسيين من الأسر ، وعهوده ألا ينزل برّ المسلمين بعدها أبدا نقضه للعهد ، وأنه يريد الحركة فكتب صاحب الديار المصرية هذه الأبيات يهزأ به :

[السريع]

قُلْ لِلْفِرَنْسِيِّسِ إِذَا جِئْتَهُ
أَجْرَكَ اللهُ عَلَى مَا جَسَرِي
قَدْ جِئْتُ، مِصْرًا تَبْتَغِي أَخْلَدَهَا (4)
فَسَاقَتِكَ الْحَيْنُ إِلَى أَدْهَمِ
رُحْتِ وَأَصْحَابِكَ أَوْ دَعْتَهُمْ
سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يَرَى مِنْهُمْ
مَقَالَ صِدْقٍ مِنْ قَوْوَلِ (3) فَصِيحُ
مِنْ قَتْلِ عِبَادِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ
تَحَسِبُ أَنْ الزَّمَانَ يَاطِبِلُ رِيحُ (5)
ضَاقَ بِهِ عَن نَاطِرِيكَ الْفَسِيحِ
يَقْبُحُ أَفْعَالِكَ بَطْنِ الضَّرِيحِ (6)
إِلَّا قَتِيلٌ أَوْ أُسِيرٌ جَرِيحُ (7)

- (1) في ف ص 23 وفي ب ورقة 13 ظهرا : المنتصر .
(2) وفي ب وفي ج سقط الحديث عن الصليبيين ابتداء من هنا الى قوله : ... له احوال جميلة .
(3) في الأصل من مقول .
(4) في الأصل ملكها .
(5) في الأصل : تظن أن الزمن ياطبل ريح .
(6) وفي الأصل : وكل فرسانك اودعتهم بسوء تدبيرك بطن الضريح .
(7) خمسون ألفا لا ترى منهم الا قتيلًا أو أسيرا جريح (والتصويب من الديوان ص 182) .

(315) فَرَدَّكَ اللهُ (1) إِلَى مِثْلِهِمَا
 إِنَّ كَانَ بَابَاكُمْ بِنْدًا رَاضِيًا
 فَاتَّخِذُوهُ كَسَاهِنًا إِنَّهُ
 وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا (4) عَوْدَةَ
 دَارِ ابْنِ لُقْمَانَ (6) عَلَى حَالِهَا
 لَعَلَّ عَيْسَى مِنْكُمْ يُسْتَرِيحُ
 فَرُبَّ غَبْنٍ (2) قَدَّ أَتَى مِنْ نَصِيحٍ
 أَنْصَحُ (3) مِنْ شِقِّ، لَكُمْ أَوْ سَطِيحُ
 لَا تَخْذُ ثَارًا، أَوْ لِفَعْلٍ قَبِيحُ (5)
 وَالْقَيْدُ بَاقٍ وَالطَّوَأَشِيُّ صَبِيحُ

وكان حين قبض عليه جعل في رجله كبلًا ووكل به فتى اسمه صبيح وسجن في دار بمصر تعرف بدار ابن لقمان ، بعد أن مزق جيشه كل ممزق ، وأخذت سيوف الله حقها من رقابهم واستولى المسلمون على أسلحتهم وأموالهم وذلك كله في مدة تسعة أشهر ، وحمل الفرنسيين على جمل ، ووجهه إلى ذئب الجمل مع عدة من ملوك النصارى ورؤسائهم وطيف بهم .

وكان بالديار المصرية ، أي يوم قررت فيه أعين المسلمين وافتدى الفرنسيين نفسه بقناطير الذهب وحلف ألا يظأ بلاد المسلمين أبدا ، فأبت نفسه الخبيثة إلا نكث العهد ، ونزل بعدها ساحل إفريقيا.

ومن غريب الاتفاق ما يجريه الله تعالى على أهل الصدق من التفاؤل أن الفرنسيين لما نزل تونس قال أحد أدبائها (7) :

[الخفيف]

يَا فِرَنْسِيْسُ هَذِهِ أُخْتُ مِصْرَ فَتَأَهَّبْ (8) لِمَا إِلَيْهِ تَصِيرُ
 (316) لَكَ فِيهَا دَارُ ابْنِ لُقْمَانَ قَبْرُ وَطَّوَأَشِيكَ مَنْكَرٌ وَتَكْيِيرُ

(1) في الأصل أعادك الله .

(2) في الأصل غش .

(3) في الأصل أنفع .

(4) في الأصل أضمروا .

(5) في الديوان ص 182 لأخذ ثار أو لقصد صحيح .

(6) في الأصل دار ابن لقمان .

(7) في الأصل أن الفرنسيين قال اخذ انايها : من تصوبنا حتى يستقيم المعنى .

(8) في الأصل فتها .

فصدقت الأقدار ما قاله وفاله . وأحكم الغيب مقاله . " اتقوا في راسة
المؤمنين فإن الله ينظر بنور الله " .

وكان الملك الصالح ابن الملك الكامل بن أيوب صاحب الديار
المصرية يعدّ للأمير أبي زكرياء هذه التفضيلة ويراه أخا ، فإنه
تحقق قصد الفرنسيين إلى الديار المصرية قبل أن يبلغ ذلك الملك
الصالح فوجه كتابه في ذلك في البر إلى الملك الصالح فدخل عليه
الرسول بالقاهرة فجاءه بالكتاب فإذا فيه الإعلام بما عزم عليه العدو
— دمره الله — والاعتذار على عدم المبادرة إليه بنفسه وجنده ، لما
يخشى من عدو صقلية المجاورة له ، ومن أعراب إفريقية ، فأفاض
على ذلك الملك الصالح في شكر الأمير أبي زكرياء ، وأثنى عليه ، وأخذ
حينئذ في الاجتهاد للقضاء العدو ، وأتى العدو عقب ذلك ونزل بدمياط
وأخذها ومات الصالح في إثر ذلك وقام (1) بالأمر ولده المعظم
بعده وعلى يده قضم الله العدو وكان من حديثه ما تقدم .

وكان الأمير أبو زكرياء — رحمه الله — ملكا جزلا سعيدا حللما
فاضلا مدركا عاقلا عالما مجيدا شاعرا محسنا فصيحاً كاتباً صليب الرأي (2)
وله أحوال جميلة لم تكن في غيره من الملوك ، وكان معدوداً من
العلماء وفي الشعراء النبلاء (3) وله شعر (317) مدون وكان (4) مع
هذا كلبه حسن العهد ، وفياً للتقديم من المعرفة ببلغ رجالا من أهل
معرفته آمالا عظيمة ، وأكسبهم أموالا جمّة ، وولاتهم الخطط الرفيعة .

وكانت أيامه خير أيام وأكثرها سعادة ، وأدرها أرزاقا ، وأكثرها
أفراحا ، ونام الناس معه على مهاد العافية ، واكتسبوا الأموال ، وأكثروا
الغراسات ، وجمعت دولته من رؤساء العلماء وأهل الرئاسات من
الموحدنين وفحول الشعراء وجباة الأموال ، وكان عنده من الصناع

(1) في الأصل أقام .

(2) نهاية النقص في النسخ المشار إليها بصفحة 104 .

(3) في ف 23 وفي ب ورقة I3 ظهرا ؛ وكان معدودا في العلماء أشهر النبلاء .

(4) في ف وفي ب وفي ج وقع نقص من هنا الى قوله : « وجمع بعدله وسياسته » ص 107
وذكر مكانه « وكان مقصرا في توبه ومركوبه وفي شأنه كله وبذلك كان يوصى
ولده الأمير أبا يحيى وكان يعطى عطاء جزلا » .

وأصحاب المعارف وأرباب البصر ما لم يكن عند غيره ، وكان يجالس
طلبة العلم ويشاركهم أحسن مشاركة من غير ماهرة ، ولا إظهار
إيالة على أحد منهم .

وللشعراء فيه أمداح كثيرة ، وله معهم أخبار عجيبة ، ورثي من
النظم بما لا يسعه هذا المختصر ، ومن ملح ذلك قول أبي عمرو عثمان
ابن عتيق المهدي المشتهر بابن عريضة ، وأثبت دون غيره هنا لما
فيه من الحسن ، ومن أحسن ما فيه أن كل بيت منه جمع رثاء
الأمير - رحمه الله - وهناء ولده المستنصر ، وهي قصيدة طويلة
أولها هذا البيت :

[الكامل]

يَأْتِي الزَّمَانُ الغَضُّ ثُمَّتَ يَرْبِعُ (1)
وَيَنْضُرُ هَذَا الدَّهْرُ ثُمَّتَ يَنْفَعُ

ويقول فيها أيضا :

فَلَيْسَ طَوَى بَدْرَ الإِمَارَةِ مَغْرِبُ
فَلَقَدْ جَلَا شَمْسَ الخِلَافَةِ مَطْلَعُ
فَأَضَاءَ بِالْمَرْحُومِ ذَلِكُمُ الشَّرِي
وَأَنَارَ بِالْمَنْصُورِ ذَاكَ الْمَرْبَعُ
بَسَطُوا (2) لِسَانَ الشُّكْرِ فِيمَنْ بَايَعُوا
وَتَنَنُوا عِنَانَ الصَّبْرِ عَمَّنْ وَدَّعُوا
وَرَأَوْا خِلَالَ مُحَمَّدٍ فَتَبَاشَرُوا
وَتَذَكَّرُوا يَحْيَى الرُّضَى فَتَفَجَّعُوا

وجمع بعادله وسياسته أمولا لا تحصر إلا بالبيت - والبيت
عبارة عن ألف ألف وذلك مائة ألف عشر مرات - ذكر بعضهم
أنه ترك سبعة عشر بيتا وستة وثلاثين ألف سفر من الكتب ، وبلغ
جيشه سبعين ألف فارس وكان أكثر لباسه جبّة من صوف وإحراما (3) من

(1) في الأصل يدرى الزمان الغرض تمت يربع .

(2) في الأصل بسطوا .

(3) كذا بالأصل حسب الاستعمال المغربي .

صوف ، وكان إذا خطر (1) على مكتب يأمر معلمه أن يطلق
أولاد ذلك المكتب (2) .

وتوفّي الأمير أبو زكرياء - رحمه الله تعالى - بظاهر بونة في
ليلة الجمعة السابع والعشرين لجمادى الآخرة من سنة سبع وأربعين
وستمائة ، ودفن بجامع بونة إلى جانب الرجل الصالح أبي مران
اليحصبي (3) نفع الله به ، ثم نقل تابوته بعد ذلك إلى قسبة قسنطينة .

ومولده - رحمة الله عليه - في عام تسعة وتسعين وخمسمائة بمراكش
وكان عمره ثماني وأربعين سنة ، وكانت مدته اثنين وعشرين عاما .

وخلف من الأولاد الذكور أربعة : أبا عبد الله المستنصر الوالي
بعده ، وأبا اسحق المجاهد الوالي بعد الواثق بن المستنصر ، (319) وأبا يحيى
أبا بكر - ولم يل ، وأبا حفص عمر ، وكلّهم ولّي إلاّ أبا بكر .

ثم استقرّت الإمامة في عقب ولده المجاهد أبي اسحق ، وانصرفت
عن سائر عقبه ، ومنّ الله - سبحانه - نساء دوامها فيهم . وحفظها
عليهم . وانتفاع الأمة بهم . وهو سبحانه المنان المتطوّل . المنعم
المتفضّل :

وفي سنة سبع وأربعين المذكورة التي توفّي فيها الأمير أبو زكرياء
توفّي فيها صاحبه وصديقه الملك الصالح سلطان مصر والشام ، وكان

(1) كذا في الأصل .

(2) في ف و ج و ب نص آخر عوض نص الأصل من قوله : « وتوفّي الأمير أبو زكرياء » الى
ص 116 وهو : « وأول من كتب علامته الكاتب أبو عمرو أحمد بن ملك بن سيدمير
الأندلسي ، وكان ورد على بجاية وقسنطينة وكتب بهما لولاهما ، وانتقل الى تونس
ورفته الشهرة الى الكتب عن الأمير أبي زكرياء ، وكان اذا ملكته العهدة خرج عن
جميع ما يملكه ، ولذلك لم يخلف بعد وفاته ما يورث عنه . وتوفّي في احدى وثلاثين
وستمائة ، وترك ولدا خلفا ، وانقرض ولا عقب له . ونقض (هكذا) العلامة أي علامة
ابن سيدمير الكاتب الرئيس الأشهر أبو العباس أحمد الغساني التونسي مولدا ، ومنشأ
ووفاة . وكتب له أيضا الامام المحدث أبو عبد الله محمد بن الابار . وتحرك الأمير
أبو زكريا رحمه الله من تونس مغربا فمرض في طريقه وتوفّي على بونة ، في ليلة
الجمعة الثالث والعشرين لشهر جمادى الأولى من سنة ستمائة وسبع وأربعين ونقل
تابوته الى قسبة قسنطينة وكانت ولادته بمراكش سنة خمسماية وتسع وتسعين ، وكان
عمره تسعا وأربعين سنة وكانت مدته اثنين وعشرين عاما وولي بعده الخ » .

(3) في الأصل : المحصبي .

أيضا من أكابر ملوك الإسلام دينا وعفافا وكرما وسياسة وذنباً عن الدين؛
ومن حميد ما يحكى من سيره أن نصرانيا من نصارى بلاده
— وهم يستعملون في جبايات الأموال كثيرا هنالك — فجرى لهذا
النصراني أنه توسل له رجل من المسلمين في أمر كان له معه بكبير
قتال له النصراني : ”والله لو جاء معك نبيكم ما تفعلك ذلك !“ فلما
رفعت له القصة أمر بإحراقه ، فأعطى أهله وأهل ملته عشرة آلاف
دينار عينا كبيرا فأبى (1) تركه ، وقال : ”والله لو بدلوا لي فيه ملء
الدنيا ذهبيا ما بعت بذلك عرض النبي صلى الله عليه وسلم !“ وأمر بإحراقه
وأنفذ أمره بذلك فجزاه الله خيرا !

وولي بعد الملك الصالح ولده المعظم ثم قتل في سنة ثمان (320)
وأربعين وستمائة .

وفي السنة المذكورة توفي صاحب اليمن الملك المنصور بن رسول
— رحمه الله .

وفيها توفي (الاندور) (2) عظيم النصرانية بالأندلس ، وهو المتغلب
على اشبيلية وقرطبة وجيان ومرسية القواعد الجليلة ، فكانوا يرون أن
حذاق ملوك الدنيا جمعت وفاتهم سنة واحدة شمسية .

أشياخه وأهل رأيه من الموحدين :

— رحمهم الله تعالى — وهم المعروفون بأشياخ البساط أبو محمد بن
أبي هدى ، وأبو علي بن النعمان ، وأبو وكيل بن النعمان ، وأبو عبد الله
ابن ويغزار ، وأبو عفيف صالح وجميعهم من قبيلة هنتاة .

وزراؤه :

— رحمهم الله تعالى — ميمون بن موسى الهنتائي ثم نكبه ونفاه ،
واستوزر بعده أبا يحيى بن أبي العلاء بن جامع وما زال في خدمته

(1) أسقطنا : من - من الأصل لتستقيم الجملة .

(2) هكذا بالأصل .

إلى أن توفي ابن جامع واستوزر بعده ابن عمه أبا العلاء إدريس
ابن علي بن أبي العلاء بن جامع وكان يحب الوزير أبا يحيى بن جامع
فلما استوزر ابن عمه أبا العلاء أمر أن يدعى بابن أبي يحيى كما
يدعى ابن عمه ، فما زال يدعى بذلك إلى أن توفي - رحمه الله تعالى -
في خدمته ، واستوزر بعده ابن أخي الوزير الأول ، وهو أبو زيد
ابن محمد بن جامع ومات السلطان - رحمه الله - وهو وزيره .

وكان كبير داره وخاصّة رجاله (321) من غير الموحدّين أبو
عبد الله محمد بن الحسين بن أبي الحسين العنسي من بني سعيد أهل
قلعة بأقطار غرناطة ، وهو كان رئيس أهل الدار من اللخلة والأناطلس
وغيرهم .

ذكر قضائه رحمهم الله :

أولهم أبو عبد الله بن زيادة الله القابسي ثم أبو القاسم بن
الريش ، ثم عمر بن نفيس ، ثم عزله وولى أبا زيد التوزري المعروف
بابن الصائغ ولم يزل قاضيا إلى أن توفي السلطان - رحمه الله تعالى
عليه - .

ذكر كتابه :

أولهم عنده أبو عمرو بن سيدمين ، ثم أبو عبد الله بن الجلاء
البحائي ، ثم كتب عنه العلامة والإنشاء أبو عبد الله بن الأبار ، ثم
أخبره وكتب عنه العلامة والإنشاء أبو العباس أحمد بن إبراهيم
الغساني التونسي مولدا ومنتشأ ووفاة ولم يزل كاتبه إلى أن توفي السلطان
ثم كتب بعده لولده المستنصر وكان من خواصّه (1) .

(1) الى هنا ينتهي النص المشار اليه والمعرض بما ذكر في التعليق الثاني من ص 114 .